الشعر في سوريا

بقلم شاكر مصطفى

اصدقائي من الشرب*، كلما عربدت الكأس على شفاههم وسكرت الهموم قالوا : هات حديث الشعر ... وتدور القوافي بيننا ، كسرب الجواري الحسان وتدور ... ساعات .

ولقد يسلطن بيت في مطلع الليل، او شطر بيت .. كلمة واحدة ، فاذا هم « يزمزمونها » حتى مطلع الفجر !.. هؤلاء هم الشعر في بلادي ، لا القافية المرصوفة ولا ايقاع التفاعيل !.. انهم يحيون القافية فهي بعض من أعصابهم وبعض من دمائهم وبعض من نسيج القلب والجمجمة .. ولا عيب فيهم سوى ان البيت الحلو يقع من سكونهم موقع الحصاة في سكون الغدير لا تكاد تنتهي الدوائر التي تنداح منها . فهل لي ان انقل نتفاً من ثرثرتهم مع الليل ؟ هل لي ؟

***

قال احدهم مرة : لنكتب كتاباً عن الشعر في سوريا ، مجلداً ضخماً على ما اتصور ... وما اسرع ما انزاحت الكأس والهموم بيد واحدة عن المائدة، وتنزلت مكانها باليد الاخرى صفحة ورق انتظرنا ان تسع ، في رأينا ، كل خيال جمح ، وكل رجفة شفة ..

اذكر اني كتبت على الورقة عدة اسطر اولها : **الميزات العامة للشعر في سوريا :**

● لا مدارس للشعر عندنا . وما من شاعر بلغ من زهو الشعر المبلغ الذي يجر وراءه بعض الحواريين ، ولا من اتجاه شرع للموقف الشعري ، فلسفة تغوي الغاوين على الجانبين ... فالاتجاهات الشعرية ما تزال مبهمة الحدود والاتباع والفلسفة، ومعظمها لصيق ، مضاف الى القلب مما وراء البحر ...

أيضير الشعراء هذا ؟ لا اعتقد بتقنين الدفقة الشعرية ، ولا بضرورة الفلسفة او المدرسة .. الباحثون الذين يحومون حول القصيد فقط ليصنفوه ، والنقاد الذين يتفلسفون بدل ان ينتجوا هم وحدهم الذين يضيقون بشعر محلول العقال والضفائر ... ولكنه مع ذلك يظل شعراً ! ويظل له خمار الكأس الاخيرة ،

وغواية شلال النور الاسود فوق كتفي غانية ..

● وقاطعني صديقي يقول :

— سجل قبل ان تهرب هذه الفكرة من بين اسناني:

... ولا يحمل الشعر في سوريا طابعاً يختص به ... اقول هذا وأطياف (الطائيين) ابي تمام والبحتري ، وشعراء الحريدة واليتيمة تركض في خاطري . ألا تعتقدون معي انا لا نستطيع ان نميز في الشعر العربي الحديث ، شعراً شامياً ، شعراً لا يقال مثله ، او لا يمكن ان يقال ، على ضفاف دجلة او في أعباب شراع على النيل ؟..

وساد صمت حائر ..

● تبدو في بعض الشعر السوري منذ عهد قريب نزعة انسانية عميقة تستقي تارة من الوجدانيات الرومانتيكية وأخرى من المبادىء السياسية وثالثة من النكبات القومية ، ولكنها تلتقي دوماً عند منهل واحد هو الشعور بكرامة الانسان ... ويستوي في ذلك شعر نزار القباني الاخير ، وقصائد شوقي البغدادي في ايران ، ودواوين سليمان العيسى التي تلتهب.

ان شيئاً ، كالجراح ، يئن في الصدور فهي تحاول ان تغرق آلامها في الشمول ، في ان تسع الانسان كله !.

ومر بالحلقة قارىء كف بسطت له الاكف !.. وكانت تتمة الحديث في التنجيم ..

● سوق الشعر في سوريا راكدة في الانتاج، راكدة في التذوق .. قد تدور السنة قبل ان تظفر بقافية جديدة ،وقد تلوب الكثيرين قبل ان تقع على ذواقة .. لعل الحياة السريعة شالت بالناس فما يقفون عند قافية تحاك وتفعيلة ترن بعد اخرى .

— ولعل مفهوم الشعر قد انقلب فهو حياة تعاش ولا تكتب !..

— او لعله ضاع فليس اكثر من صناعة ، كالحلاقة والحدادة ، تنصب ادواتها

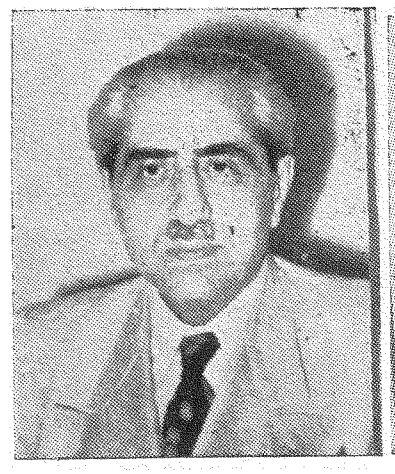

خليل مردم

شفيق جبري

* هذه الدعوى العريضة ما كنت لأدعيها ، على ضعف وسائلي . وأود ان اؤكد اني ما أهملت أحداً عن عمد ولا قصرت في تعريفه لسبب كما اني لم أتعمد الترتيب في كلمتي . وأعتذر في الوقت نفسه سلفاً لكل عاتب !

لاثبات البراعة لا لحكاية الشعور .

– على ان الشعراء انفسهم ما زالوا يؤمنون بالفقاعات الملونة التي يطلقونها ، وبالعين التي تنظر في غير شيء ، وبالوزن الشارد ولا شرود الشعاع !.. هل تذكرون « بدوي الجبل » إنه لايرضى للشاعر بغير مرتبة الانبياء او ما دونها بقليل ؟ لئن ركدت السوق فما نزلت القيم ! او لعلكم ترون أني ..

ولا اذكر بعد كيف انتهى الحديث !

● لم تترك الاحداث العامة سوى انطباع باهت في الشعر السوري كانطباع القدم على الرمل ، كصورة العاصفة في رأس مخمور .. لا فاجعة فلسطين ، ولا مأساة الاسكندرونة .. لا مصارع الحريات ، لا اعراس الجلاء ، تنزلت نواحاً او ثورة او اغنية على الشفاه ، أهي القلوب مصفحة بالنحاس فما تنبض ؟ ام الاحداث سطحية لا تترك اكثر من رجفة الريح فوق الماء ؟ ام الشعراء ... الشعراء انفسهم ؟ انا اميل الى اتهامهم . ان الشعر بالنسبة الى معظمهم لم يصبح قضية ، لم يصبح حياة ، لكنه لفظ يجمد على الورق !..

– أيعني ذلك اننا ننكر ماقرأناه ونقرأه من شعر في فلسطين ، وما تنثره المجلات في كل مناسبة من قصيد؟ من بكاء الكوارث؟

– بلى !. فما ذلك ببكاء ! البكاء أشرف من ذلك وأنبل .

وقامت قهقهة في مائدة عطفت الحديث سمتاً آخر ..

● سجل الشعر السوري في تاريخه القريب بعض التطور ... لم يثر على الاوزان التقليدية والاساليب ، الثورة التي تقوض . ولكن قصيدة ١٩٥٤ تختلف حتما عن قصيدة ١٩٢٠ و١٩٣٠ وبل ١٩٤٠ . لعل الشعراء مالوا مع الاوزان الخفيفة ، ولعلهم آثروا العافية من الجزالة ولعلهم يسجلون بدء الدرب الجديد بعد ان ذهبت فترة النهضة وما يلازمها من شعر تقليدي بكل جهد الطبقة السابقة من الشعراء الذين عاصروا شوقي ومطران : كخليل مردم ومحمد البزم وشفيق جبري ..

– أهو التخنث او الضعف او التفاهة ، هذا الدرب الجديد؟

– لست هنا في معرض اعطاء القيم ولكن هو الدرب على كل حال .. وقد اضحت القصيدة تعيش ، باستثناء بعض القمم العريقة ، في جو اللعبة اللفظية ، او الغنائية الشخصية ، او في حبك الرموز .. وترق في الحبك حتى لتكاد تنخرق !.

وكان السطر الآخر على الورقة : **بم تأثر الشعر السوري ؟**

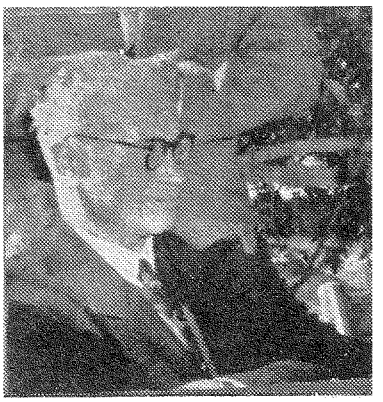

انور العطار

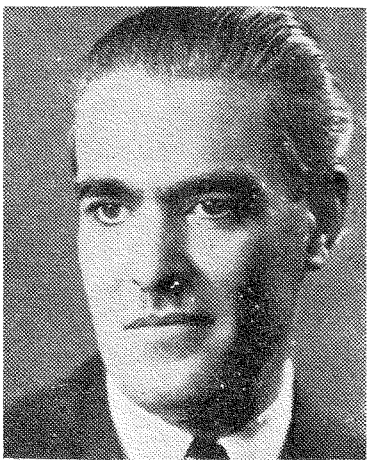

سليم الزركلي

وسرت غمغمات كثيرة بين الصخب كغمغمات كاهنة دلفى في الاولين من الاغريق ... ثم ما لبثت ان اتضحت بعض الخطوط :

● أثرت فيه تيارات الفكر الغربي ، دخل في دوامتها برغمه . غير انه لم يلائم بعد بين قوالبها وتقاليدها من جهة ، وبين طرقه وتقاليده العربية من جهة اخرى ..

– ومعظم الشعراء لم يعيشوا هذه التيارات ، ولا اتصلوا اتصالاً مباشراً بأجوائها . وبعضهم لا يعرف عنها الا القليل او يفهمها فهماً مشوهاً او ابتر .. ومع ذلك فهي تؤثر وستظل تؤثر في كيان الشعر العربي الحديث – عامة – تزوق محاريبه وتفلسف اتجاهاته وتلون موجة بعد موجة من قوافيه !

– لبنان كان احياناً وسيط هذا التأثر ، وشعراء لبنان كانوا النماذج القريبة التي تغوي كل لهاة حديثة اللغو !. الرومانتيكية والرمزية انما تجسدتا في قوافٍ من ذلك الجبل ، عند ابي شبكة وغصوب وعقل قبل ان يقرأ في سوريا (شلي) او (فيني) او (فاليري) ..

ولبنان من جهة ثانية أثر بشعره المهجري . دفقة الرومانتيكية التي هزت جمود القافية العربية انما قام بها اطفال (جبران) ومدمنو (ابي ماضي) . والشعر العائد من المهجر ، عاد وملء عطفيه الملامح الغربية المتباينة . هو هجين اذا شئت ولكن ...

● ويحمل الشعر السوري الحديث دمغة الحرمان الاجتماعي . هو يشكو حتى الصميم « عقدة » فرويد وسركبات اللاشعور . فالخيال الشعري يغص ويشرق بطيف امرأة . والمشاعر فيه « تمثيل » لا يعكس الرغبة فيها . انك تقرأ الحرمان في القصيدة

٨٢

بدوي الجبل

لا الغزل ، وترى التوق الى الحب لا الحب نفسه ...

ـ لقد تكون هذه العقدة قد تراخت الآن بعض التراخي ، ولكن .. لا تزال رواسبها تمنحنا ألماً لا وجود له ، وسوداوية تنوح دون مبرر ، وشهقات تشعر وراءها بالجوع ، من كل نوع !

● وتأثر الشعر السوري الى هذا وذاك بانتشار الثقافة في دوائر متزايدة السعة ، وبتزايد قيمة الفرد وحقوقه ، معها ، ونمو التحرر الفكري . فالشعراء اليوم عدد كبير .. بعض يقرزم ، وبعض ينحت بيتاً ، وبعض يخرج قصيدة ..

صدر اليوم

كتاب الاهوال

رقم ٢١

النسر الاسود

بيترشيني

مكتبه المعارف في بيروت

الثمن ٥٠ ق.ل

خالقة..

من نُعمياتك لي ألفٌ منوعةٌ ... وكل واحدة دنيا من النور
رفعتني بجناحيْ قدرة وهوى ... لعالم من رؤى عينيك مسحور
تعبٌ من حسنه عيني فان سكرت ... أغفت على سندسيٍّ من أساطير
أخادع النوم إشفاقاً على حلم ... حانٍ على الشفة اللمياء مخمور
وزار طيفك أجفاني فعطرها ... يا للطيوف الغريرات المعاطير
طيوبها في زيارات الرؤى نزلت ... من مقلتيّ على اصفى القوارير
كأن همسك في رياه وشوشة ... دار النسيم بها بين الازاهير
تندى البراءة فيه فهو منسكب ... من لغو طفل ومن تغريد عصفور
رشفت صوتك في قلبي معتقة ... لم تُعتَصَر وضياء غير منظور
لو كنت في جنة الفردوس واحدةً ... من حورها لتجلى الله للحور
خلقتني من صبابات مدلهة ... ظمأى الحنين الى دَلٍ وتغرير
فكيف أغفلت قلبي من تجلده ... لما توليت إبداعي وتصويري
وكيف تشكين من حبي غوايته ... وانت كوّنتِ تفكيري وتعبيري
وهل تريدين روحي هدأة وونىً ... فكيف أنشأتِ روحي من اعاصير
ألفتُ نفسي على ما صغت جوهرها ... يا غربتي عند تحويري وتغييري

* * *

كبرتُ للطلعة النشوى أسبحها ... أكان لله أم للحسن تكبيري
يا طفلة الروح. حبات القلوب فدى ... ذنبٍ لحسنك عند الله مغفور
آثامكِ الحفرات البيض لو جليت ... لطور موسى لندّتْ ذروة الطور
كأنها اقحوانات منضرة ... بمخصب عبق الريحان ممطور
يا نجمة تختفي حينا. وتشرق لي ... حينا أفانين تعريف وتنكير
لقد هجرتِ أخاكِ الفجر وانتبهت ... شمس الصباح على أناتِ مهجور
من موطن النور هذا الحسن اعرفه ... حلو الشمائل قدسيّ الاساريرِ
ففي السماء على مطلول زرقتها ... أرى مساحب ذيل منك مجرور

* * *

لا تجزعي من مقادير مخبأة ... حنا يدللنا ظلم المقادير
عندي كنوز حنان لا نفاد لها ... أنهبتها كل مظلوم ومقهور
أعطي بذلة محروم فوا لهفي ... لسائل يغدق النعماء منهور
جواهري في العبير السكب مغفية ... من الوني بعد تغليس وتهجير
تاهت عن العنق الهاني فأرشدها ... الى سناه حنين النور للنور

«دمشق»

بدوي الجبل

أأريدان يقول الجميع الشعر الجيد ؟لا! وانما اردت ان الشعراء دخلوا على القوافي من الباب الاوسع فهي فيض غزير ؛ وبينما ماتت اغراض تقليدية قديمة في الشعر او تكاد تموت ، اذا بألوان جديدة ترقص على الاوزان .

– قد يكون هذا الاتساع اتساعاً في السطح لا في العمق . قد يكون في « الكم لا الكيف » على قول المناطقة . فالاصالة تعوز الكثيرين .

– بلى ! ومعظمهم لا يعيش زمنه وحياة قومه وارضه ، يطفو دون جذور خارج حدود الزمن والمكان ، وليس ترفده الا الثقافة الضحلة ، والا الحس المصطنع والا ..

– عاش الخطيب !..

وكان هذا صوت قادم من الرفاق، صرف كل ذلك الجد من الحديث ، في نكتة !.

* * *

● وكتبت سطراً ثالثاً ؟ **الشعر السوري بالامس .**

● ونحن اذا تفجرت ذكريات الفتوة بيننا ، ككوة على الربيع ، وغابت الاعين تبحث وراء الاجفان عن ..عن شيء؟نتذكر في العادة الشفاه التي سكتت . نتذكر شفيق جبري وخليل مردم ومحمد البزم وبدر الدين الحامد والفراتي ..

هذه الاسماء كانت عندنا الشعر كله في ما بين الحربين . كانت تحمل سر عبقر في لهاتها وتسوق منها كل شيطان مريد !فاذا كان موسم او مهرجان، انتظر الناس ان تنشطر اعمدة الصحف شطرين متقابلين تتحكم فيهما القوافي والاوزان .. على ما يشتهون .

عاصرت هذه المدرسة ، عهد الزهو والألق من (شوقي) و(حافظ) و (مطران) ،عهد الامارة والتيجان وجر الذيول ، وانت في سوريا سبيل النهضة وما يلازمه من اسلوب تقليدي، وتأسٍ بالسابقين .

بعضهم فقط عرف الادب الغربي كجبري ومردم ، فاذا ببعض الالوان الغريبة تركض في قصيده. وبعضهم تأسره اللغة (كالبزم) فهو مغلول النجاح – ولو أبى – إلى ما قبل الجاهليين من الشعراء والى الرعيل اللعين من (ابن جني) وصحبه من النحاة . ولكن هذه المدرسة سكتت مرة واحدة ! انطفأت كأنما لم يعد في السراج زيت ، فلا مطلع كهذا المطلع من (جبري) [1]

أحمرة الفجر بين النخل ما يقد أم وجهك الطلق يا بغداد منفرد؟

ولا رقصة اخرى مع (الرقص) من (مردم) [2]

نفخ الصور فهبوا مسرعين !

وغاب نحت (البزم) عنا ايضاً وقوله في بعض احلامه :

اغفيت ابغي جماماً من ضنى السهر وما أكابد من وجد على القدر
فلم يرعني سوى الميزان تنصبه غلب الملائك والاقوام في ضجر
والشمس تصهرهام الناس عن كثب والنار ترمي عنان الافق بالشرر
فقلت ما الخطب قيل الهول. قلت فما هذي الجموع؟ فقيل الحشر فانتظر

او غزله القاسي :

وحصان كأنها وضح الصبح أقلت حنادساً في عقاص!
وجهها في جحاجح الترك من
طوران ذي المكرمات في إعياص!
نظرات في القلب تبعث ناراً
وفؤاد يذوب ذوب الرصاص !!

وكان لهذه المدرسة تلاميذ كانت قصائدهم تعد بالكثير ..اقول – كانت – لان هذه الشفاه قد سكتت ايضاً بدورها ونضب المعين الذي تفجر مرة واحدة عن أمجد الطرابلسي (امجد ٩٣٨–٣٩) صاحب (هيا كل بعلبك) وعن سليم الزركلي، وعن أنور العطار ذي الشعر الرهيف المزوق ، والذي لقب مرة بشاعر الشباب السوري . لا ! ما عاد انور يقول :

غاب لبنان في رقيق من الغيم كما غاب في مدى اليم زورق
الهضاب الشم اكتست ورق الخلد وطاف الربيع فيها واحدق
والذرى البيض في العلاء نسور حومت تكشف الخفي المغلق
وتطلعت من مشارف لبنان اناجي من حالق الغيب جاق
هي مأوى رغادتي وهنائي وبها قلبي اللهيف معلق !

نضب المعين فليس في قيعانه سوى السؤر وبعض من زهر ، ولقد ترده بعض الظباء فيردن الطرف وعلى الاجفان غفوة من ذكريات ..

* * *

● وكتبت في النهاية سطراً أخيراً :

عمر ابو ريشه

١ هو عميد كلية الآداب بالجامعة السورية اليوم وعضو المجمع العلمي العربي
٢ هو رئيس المجمع العلمي العربي

ـ الشعر السوري اليوم .

ولقد تناثرت الآراء والكلمات يزاحم بعضها بعضاً ، كشرار الموقد الثائر في كل اتجاه ..

● وأخرج واحد مثل الصحب قصاصة جريدة فقرأ ما فيها فاذا كل منا يحتفظ بأختها في جيبه او قلبه واذا هي كعصا موسى تلقف ما يأفكون . قرأ :

ويح السراب على الصحراء تسلمه ... رمالها السمر من تيه الى تيه
يزور الماء للسقيا ، ولهفته ... حرى الى منهل يحنو فيسقيه
جلا النمير وما ابتلت جوانحه ... من النمير ولا ابتلت مآقيه
أيامه خدع للركب ضاحكة ... سخراً ، وللعدم القاسي لياليه
صرعاه لو عرفوا الاسرار ما جزعوا ... مما يعانون بل مما يعانيه
هيان لهفان لا مأوى لوحشته ... قلبي الذي وسع الاكوان يؤويه
ابكي لبلواه تحناناً ومغفرة ... روح الالوهة روحي حين ابكيه
ادعو السراب الى روحي لينزلها ... ريفاً وظلاً وينأى عن بودايه
لهفي عليه اسيراً في يدي قدر ... يميته كل ليل ثم يحييه
يغيض قبل رفيف الجفن زاخرة ... أقلبه جف أم جفت سواقيه ؟

***

ما للسراب دناحتى اذا اكتحلت ... بسحر دنياه عيني ، شط دانيه؟
انت السراب ولكني على ظمأي ... بأنهر العطر الصهباء افديه
محوت من قلبي الدنيا فما سلمت ... الا طيوف هوانا وحدها فيه

ـ هذا سيد شعراء العرب دون منازع : بدوي الجبل [1]، انه الحجة الوحيدة الباقية في يد المدرسة الكلاسيكية .. نسيج البحتري الموشى لم يكن له من مكان في هذا العصر لولاه . وهو يجر وراءه ربع قرن من امجاد القافية .. كل بيت عنده كالزهرة الانيقة ، كالكأس المترعة : فيها اللون والتويج النضيد ، وفيها العطر والنشوة الاخيرة !

وهذا الجبار الرائع لا يعرف الادب الغربي ، مع ذلك ! سألته مرة انى لك الشعر ، فقال من بيت ابي !.. إن اعجب ما فيه لغة مطواع تمنحه ما يشاء من اللفظ الانيق ، حيث يشاء ، ومعنى ، في نعومة الحلم الريان .. ما احب الحلم الريان !.

ـ وتقرأ له الواناً من الشعر فيها الغزل والرثاء وفيها الهجاء وفيها العزة القومية ولكنك تبهت ، في كل مرة ، لهذه اللفتات الصوفية التي يشرد وراءها ! هي نفحات من الصميم ، سرعان ما يبتدىء فيها عملاقاً ، انساناً آخر ... تلتقي فيه حدود الخالق والمخلوق معا وتذوب اللانهايات !.. انك لتحس بما يشبه نداء الاغوار حين تقرأ له قصيدته :

ليؤمن الناس ما شاؤوا بربهم ... فبالتحول بعد الله ايماني
تسمو الى افقه القدسي طاهرة ... مثل الدموع تسابيحي والحاني
كفرت بالروح بعد الريب آونة ... وكان زلفى الى نجواه كفراني
وقرب الناس ما شاؤوا لمذبحه ... فما تقبل منهم غير قرباني
ان الخلود وما تروي مزاعمهم ... عن السعادة في الاخرى نقيضان
مل المقيمون فيها من هناءتهم ... كما يمل السقام المدنف العاني
لود في كل ما تجريه من عمل ... ومن خمور ومن در وعقيان
هنيهة من شقاء يطمئن بها ... الى معاناة آلام واشجان
طوفت في هذه الدنيا على مهل ... طواف اشمث ماضي العزم يقظان
مفتشاً عن « عزاء النفس » لاالعي ... ادى اليه ولا حلمي وعرفاني
اذا ندبت جهودي وهي ضائعة ... اطل من حرم الدنيا فعزاني
سر السعادة في الدنيا وان خفيت ... يجلوه منك علي الاكوان عينان !

... وركض التداعي يدير في حلقة الشرب ، مقطوعات لآخرين من المدرسة الكلاسيكية اياها ..

● ذكروا وصفي القرنفلي وتلفتوا الى أطراف المقهى يفتشون عن جبهة منفردة وعين لا ترى الناس ...

ـ انه يستأنس بوحدته لانه ممتلىء ..

ـ أحسبه يفتش عن معنى جديد في « الاسمر ».انه يصوغ كلماته ، حرفاً على حرف « سمو حباب الماء حالا على حال » يذيب فيها شرايينه وناظريه ..

سمراء، يوم تقول... كل جوارحي ... خدر ، يدغدغه الحديث الاسمر
لا ! لا تسلني ما تقول ، وانما ... سل كيف . اني لا اعي . بل انظر
اصغي فأحلم بالمروج ، تفتحت ... للفجر يغسلها الندى ، ويعطر
غنج ، تكسر في الشفاه ، كأنما ... هو دعوة او موعد متحير
هي بحة ، ام غنة ، ام نبرة ... سيان . شيء ، في لهاتك يسكر
آمنت ، يا سمراء . بعد ضلالة ... الغنج اسمر ، والهوى ؟ قل: اسمر

ـ او يقول في سمرائه الاخرى :

هود الورد في جنبيك للصبح ... فأغفى وراح بالورد يحلم
واستفاق المساء سكران في هدبيـ ... ـك يجلو معقد الظل مبهم
وكأن الريحان قد طال اذ دس ... ت عليه والروض اذ لحت برعم
حسباك نيسان فاختلجا شوقاً ... وقبل الربيع قد لاح اوهم

ـ أحسبه لا يفكر في «السمر» ولكن في « الخمر » ...

انه مغرم بأفكاره الاشتراكية. هي لهيب قلبه وكيانه ...

أقرأتم له : لنا النصر ؟

ـ التتمة على الصفحة ١٢١ ـ

سليمان العيسى

عبد السلام العجيلي

١ وزير الصحة اليوم في سوريا .

الشعر في سوريا

— تتمه المنشور على الصفحة ٨٥ —

لنا النصر يا اخت فاستبشري — الم يضح الصبح للمبصر
سل الغرب يحشد بله الجيوش — كما تحشد الشاء للمجزر
عن الموت يجتاح اطفالنا — ويعصف بالمنزل الاخضر
عن الامسيات عن الذكريات — عن الشعر والعاشق الاعسر
عن الحب شقت مناحاته — جيوب العذارى عن السمر
عن الدار والهاربون الحفاة — جراح تئن عن المفكر
وراء الجراح وراء الدجى — لنا النصر فاستبشري !

● وذكروا عبد السلام العجيلي ... الذي قال لهم مرة : « لست اطمع في ان اكون شاعراً كبيراً ... ولعلي لم اشأ نظم قصيدة بل هي التي شاءت ان تنتظم على لساني ، بعد ان حاورتها وداورتها مريداً اياها على الاترد الى دنيا الشعر ». ومع ذلك فقد اصدر الدكتور ديواناً هو (الليالي والنجوم) ... ونافس في الديوان أولاد عبقر القدامى .. الا تذكرك هذه الابيات بأحد من أعلام الشعر ؟

صام الاحبة عن وصلي فواعجبي — من مفرطين على هجري وتعذيبي
ولو قدرت على الابعاد جاءكم — مع النسائم ترجيعي وتطريبي

— وهذه الابيات « في الجلاء ». إنها صدى حلو ارجعت الايام السالفة شيئاً منه :

المجد يومك مافي الدار مغتصب — البدر يضحك في دنياك والشهب
تلك الليالي التي راعتك ظلمتها — اودى بحالكها من نارنا لهب
شبت ببيدائنا حمراء عارمة — وقودها الاكرمان النفس والنسب

● وذكروا لرفيق فاخوري على نسيانهم :

ياطيف من اهوى زمان الصبا — ولى . فقل للحب ، ماذا تريد ؟
عندي على الايام يا زائرا — احيا رميم الامس قلب جديد
اعدني الى فردوس احلامنا — واحمل الى السوق الوقار البليد
انساك ؟ لا والحب في فكرتي — وفي خيالي انت حتى ابيد

— وهذا ايضاً شاعر صناع . تغلب الاسلوب على جبينه الخصب ، فما تمر الرؤى ، هنالك ، الا في القوالب العتاق ... انك لن تحزر ان شاعراً منا ، من حياتنا هذه ، هو القائل :

لحا الله من مستهدف شفه السقم — فليس له روح يقوم بها جسم
مشت في حياتي والشباب مصاحبي — هموم لها في محو آثاره هم
الا ايها الشاكي الذي ليس ينتهي — متى ينجلي عن فجر ايامك الوهم
طويت على بأس شبابك كله — ولوشئت لم تيأس ولم يرعك السقم

● وركضت بعد ذلك اسماء كثيرة واوزان وشعر ... بقي منها ، في مثل وهم الواهم ، في عيني احمد الجندي وشعره العذب ، وجيه البارودي ، محمد الحريري ، زهير ميرزا وقول مدحت عكاش وقد هزّ الصحب ، على عادتهم كلما شاؤوا الشعر الرقيق :

قيل عني اهوى الجمال واشدو — لغاني الجمال من كل فن
وعيوني وقف على كل حسن — لا تسل عن مفاتن الحسن عيني
تلك اشياء عهدها قد تقضي — وطواها جمال وجهك عني
أنا مذ داعبت جفونك آمالي — حرام ان ضم غيرك جفني
يا تثني الريحان لفتك روحي — طاب منك الهوى وطاب التثني

● والتقينا على موعد اعمى ولحظة جراح ، فلما تعتعت النشوة بعض الرفاق ، وصاروا يرون باليدين ما يشبه الناس ، ومايخالون انها اشياء ، ذكروا صاحب هذه اللحظات المؤلمة (نديم محمد) ..

— انه الرومانتيكي الاول في سورية .. ديوانه (آلام) قصيدة واحدة تنتهي منها فاذا انت في الصفحة الاخيرة على موعد آخر مع قصيدة اخرى من مثلها .. أفاعي الفردوس ، ذلك الديوان !

— انه يفهم الشعر على انه فكرة وعمق وروح ثم يأتي الفن ليوفق بين أولئك ...

— واما انا فأرى في هذا المفهوم كل اسس الرومانتيكية ولكن في ثوب نديمي .. فأما الفكرة فهي تمجيد الالم واما العمق فهو الحس المرهف ، واما الروح فهي ان يشق الشاعر قلبه على طريقة (بليكان) ، (موسه) .. ويطعمه الناس فلذة فلذة .. ولا حديث عن « فن » الشعر بعد ، عن فن الصوغ ، فنديم في هذا شاعر كبير . إسمعوا له :

هدرة من جراح نفسي وجوع — ينهش الحس بالنيوب الدوامي
وتضج الاوجاع ملء ضلوعي — كالثعابين ، في الرمال الظوامي
اينما سرت فالشقاء على دربي — وعض الجراح في اقدامي
لافؤادي يعي ولا خاطري يصحو — ولا انت تقصرين ملامي !..

— وعب واحد منا من كأسه مثنى وثلاث ، وهو ينصت لهذه الابيات يحسب انها انما جرت اول مرة على لهاته وفي حوائه وقال : ما ازال أحفظ في صدري جراحاً كجراحه وأقول معه :

انت خمرى اذا شربت وشكوى — حين اشكو ولوعتي وبكائي
انت لحني لو كنت اعقل لحناً — ورجائي ان كان لي من رجاء
انت في كل ما احس وما الكون بعيني لولاك غير فناء
أعملي النار والجراح بصدري — واشهدى ثورة اللظى والدماء
واتركيني اهد كما يهمد اللحن وراء الزوابع الهوجاء
يا غلام ! الخمرَ المعتقة الصرف — ودعني لسكرة عمياء

— ان نديم محمد ، معذب الاعماق ، دون شك ، ومن خلف مأساته يطل طيف « حواء » بعينيه ! ولكن بلواه الحقيقية هي في حسه المرهف :

يا شعوري يا حية تنفث السم — فيجري في القلب من الف ناب
كبرت فيك علتي وتناهى — فيك حزني وطال فيك عذابي
انا عرق لم تلتهمه وعظم — لم ترعه بعاصف او شهاب

● من هذه المدرسة (عمر النص) . أتعرفونه ؟ لقد التمع فجأة في ربيعه العشرين كالشهاب القوي ثم احتجب ... خرج على غير انتظار من اعباب الليل وعاد بأسرع مما ظهر يغلغل فيها تاركاً بين ايدي الناس ما يتركه الاب (نويل) للاطفال : ديوان (كانت لنا ايام) . وتسأله الآن عن الشعر فيبتسم : أعنده الآن من جديد ؟ أجفّ الينبوع ؟.. لست تدري ! وترجع للديوان فتجده كله دمعة واحدة !

جن الظلام واقفر الدرب — فالام تدلج ايها القلب
الليل يرعب والرؤى رعشت — واراك لا ترعش ولا ترعب

١٢٢

ورؤاك غـــامضة مغلقة
طوراً تضيء وتارة تحبو
جن الظلام ولست ارهبه
انا منه وهو كياني الرحب
انـــا انة خرساء بالية
نفضت على شهقاتها الحجب
وتمر بي الذكرى فأتبعها
ويقر فوق رفيفها الهدب
يتوثب القلق الحبيس لها
ويموت فوق سرابها الوثب
وانهنه العين التي دمعت
حذر البكاء فيذرف القلب

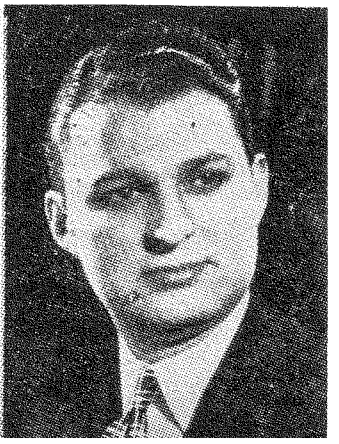

عمر النص

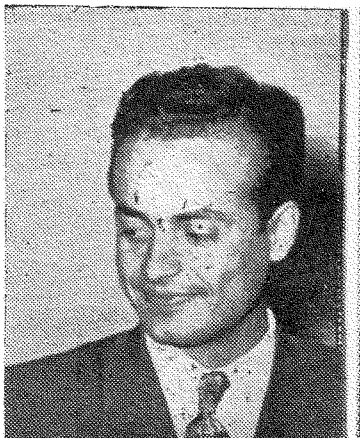

ادونيس

● وقالوا أتسمع لأنور الجندي؟ انه ايضاً ممن يشربون الالم، من مدمني هذه الخمرة السوداء .

يا بسمة الافق والاحلام ضاحكة ... ويا نشيد دموع الوامق العاني
اغريتني بشبـــاب كله امـــل ... واليوم ايقظت آلامي واحزاني
اعب بالكأس محزوناً وبي ظمأ ... وانثني وفؤادي جد ظمآن

* * *

● وحضر الحلقة يوماً عمر ابو ريشة ، الشاعر التي تخفـق له حتى صخور بلادي! جبين يلتهب فيه العنفوان ، وعين كأن وراء نظاراتها ألف رؤيا بعيدة ، وشفتان منهما انهل تاريخ امتي صورة، صورة بكل ما فيه من دموع وزغاريد ورعف جراح، ومنهما وعى قلبي الشعر ، وصوفية الشعر اول ما وعى ! بلادي كلها تتمرى في شعره ، ففيه نجوي العذراء ، وفيه ذكرى الجراح الزرق ، وفيه كل كبرياء الروح ... وكان عمر يطارد حلماً هارباً حين تسللت بين الاصدقاء فكرة :

ـ لقد تحدى عمر الناس جميعاً حين سمى ديوانه « شعر »، انه مدرسة وحده ..

ـ أليس قد أبدع « الكلمة » الشعرية؟ الكلمة عنده شحنة من الشعور والوحي، كأنما يصوغ حروفها لنفسه بنفسه ، وبموسيقاه الخاصة : ويسفح فيها من الظلال والالوان والعطور والنبض ما يجعلها مزقة من الشرايين الحية . أليس هذا ما تراه في البرعم الاخضر :

افقت مع الحلم المسفـــر ... عـــلى نغم شارد مسكر
تدفق يسكب في قلبك الطـــــري ربيع الحياة الطري
فألفيت دنياك غير الـــتي ... درجت عليها ولم تشعري
وانت عليها انفلات الحبيـــــس من الطيب فالبرعم الاخضر

ـ وتلتقي الكلمة بالكلمة فتبدأ الصورة بالظهور .. ولنقل تبدأ بالانفلات في كل سبيل .. انك لتحس ضجة الاخيلة حول رأسه كسرب حمام قرمزي . لكن ، دون ان ترهق لهاته او تختصم عند الشفة الملهمة .. كم صورة موزعة على الصخر الميت من خيل الزمن ورضاع الشوك وانتحار الموت في (طلل)

حوافر خيل الزمان المشت ... تكاد تحدث عن بؤسه
فما يرضع الشوك من صدره
ولا ينعب اليوم في رأسه
هنا ينفض الوهم أشبـــاحه
وينتحر الموت من يأسه !

ـ والصورة عنده بنت التراب ولكنها غنية مثقلة كأنها من نفسها في فيض ...

وأفاق عمر هنا من حلمه الهارب يقول :

صوت يناديني وفي مسمعي
منه اغـــاني حلم ممتع
من اين ، لا ادري ولكنني
اصغي وهذا الليل يصغي معي

ـ وما نوع هذا النداء يا عمر؟

ـ إنه في اعماقي .. ولعلك تقرؤه يوماً في « سميراميس » . لقد افرغت في هذه القصيدة كل إرثي الصوفي !..

● ولست ادري كيف عطف الحديث الى سليمان العيسى . ان فيه بعض ملامح ابي ريشة . تقرأ ذلك في ديوانه « مع الفجر » و « اعاصير في السلاسل »

ـ ولكن صفة الشاعر القومي تستأثر به . « الحب، الجوع، الحرية ، الاشتراكية ، الثورة ، الكفاح ، ارتباط الفكـــر بالعمل ، الايمان بتلازم مظاهر الحياة ، الارتقاء من منـاظر البؤس والتشرد الى توضيح سبيل الخلاص .. كل هذه امـور تجد عنها لمحات طارئة لدى شعراء قلة . اما عند سليمان فهي محور شعره .. انه يغني للشعب ، وهو حتى عندما ينهال بالتقريع يبشر بالثورة والحياة » . هل قرأت له « الارض التي وزعها المذياع » ؟ « على الحدود » ؟ و « الفيلسوف المجهول » ؟ هذا الفيلسوف يقول للشاعر :

مزمارك الشادي على عمقه ... اعمق منه بؤسنا الكافر
دعني من الشمس ولألائها ... وما يضم الفلـــك الدائر
الشمس لا تعرف اكواخنا ... ولا سبانا الالق البـــاهر
وليس خلف الطين في بيتنا ... الا الحصير الخلق الدائر
ودوحك الاخضر .. لا مورف ... للجائع الضاوي ولا ساحر
ليت صغاري في العراء اكتسوا ... ما يكتسيه الغصن الناضر
هذي يدي انظر اتلقى سوى ... حطام جلد يابس في يدي
سل تربة الحقل الم اسقها ... واروها من جسدي المجهدي
وكم تمزقت لهاثاً عـــلى ... قبضة محراثي بلا منجدي
ما انفتحت عيني على بهجة ... منذ اجتلى هذا الثرى مولدي
كهفي على ظلمته مطبق ... والامس فيه ميت كالغد
من لون الاعمار مذ انشئت ... وخصني بالكالح الاسود؟

ـ اما انا فأجد تفاؤله في « غدنا » :

غداً ولا بدان يأتي الوجود غد ... وتنطفي ظلم الدنيا وتتقد
غداً يطل على أحلامنا الابد

١٢٣

لنا غد وليقهقه من غدي القدر احسه في دمي كالجمر يستعر
ماضر ني ان لوى عن صيحتي البشر
يا أمتي في ضباب الظلم موعدنا دعي السياط كما شاءت تبددنا
اقوى من الموت في لألائه غدنا

● ووقع في الحلقة ليلة صديق ، صامت :

ـ هات يا عبد الباسط ؟

اسير ولم يبق لي من صداك سوى شهقة الوتر الموجع
اغانيك يا لظلام الحياة تغيب ، وادفنها في فمي
وقلبك كاليأس في صمته وثغرك كالشفق المبهم
وعيناك ، عيناك اين الصلاة تلوح للشاعر الملهم
سأجري مع الريح ، في موكب الزمان ، مع العالم المغلق
هناتهجع الارض ، خلف السنين هنا قصة الابد المرهق
واوغلت في ظلمة الذكريات كأن لم تكوني . ولم اخلق

ـ الاستاذ (الصوفي) ما يزال ، منذ بوحه الشعري الاول ، يفتش عن دربه بين الدروب .. فيه بعض من رومانتيكية الشباب وبعض الوان ابي ريشة ومفرداته .. ولكنه مبهم احياناً كأنه يرتمي على افق الرمز ..

ـ على ان شاعريته اقوى من جناحيه .. وهذا ينبوعه الخفي .. أليس كذلك يا عبد الباسط ؟ وصمت عبد الباسط بعد ان تمتم كأنه ليس بيننا :

صديقي طويت احلامي وسرت لاظل ايامي
فلملمي الاوتار خلفي فقد يشرق بعدي فجر انغامي

● وقال صديق : هذا خيط عطر من عبقر : (ساعي البريد)

وموزع الاشواق يترك فرحة في كل باب
خطواته في ارض شارعنا حديث مستطاب
وحقيبة الآمال ترشح بالتحاريز الرطاب
تقر على بابي أظن امالريح لها اصطخاب
انا قبل ان كان الجواب اعيش في وهم الجواب
واكاد التهم النقاب الفستقي ولا نقاب

انبش حقيبتك التي غنت كأقبية الشراب
هذا غلاف القرمزي يكاد يلتهب التهاب
خط من الضوء النحيث فكل فاصلة شهاب
عنوانه عنوان منزلنا المغمس في السحاب
عنوانا عند النجوم الحافيات على الهضاب
طيبان لي طيب الحروف وطيب كاتبة الكتاب

يا انت .. يا ساعي البريد ببابنا .. هل من خطاب ؟.

ـ هذا نزار قباني ، هذا جبينه وهذا غزل اعصابه ، انه طليعة مجموعة من شباب الشعر .. فيهم شوقي البغدادي وفيهم آدونيس وفيهم نذير العظمة ، جعلوا من القصيدة لغواً حلواً. كسروا القالب القديم ، تمردوا احياناً على الوزن ... كأنما درب جديد يتفتح في الدغش ، عنهم ..

ـ نزار اغنية ! دواوينه ، عند مخدات العذارى حلم ... « سامبا » « طفولة نهد » عوالم مسحورة تبحر منها في مدى مخملي ، يبدأ عند قلبك وينتهي في الوسيع الازرق ، عند شرفات الله ، كل بيت صدفة حلوة ، وموعد غني غني ما اكرمه !.. الذي قلته للحبيبة ، والذي قالته لك ، يسبقك حروف منغومة هناك في قصائده .

ـ وتغط اهدابك في الكلمة فاذا هي نبع ظلال ، وحروف تشق ضميراً من الياسمين ! كل حواكير بلادي تعيش في دفء تلك الحروف ، ترتوي :

من لثغة الشحرور من بحة ناي محزنه من قصة تدور بين وردة وسوسنه
من رجفة الموال من تنهدات المئذنه ومن شذا فلاحة تعبق فيها الميجنه
من غيمة تحبكها عند الغروب المدخنه ومن لهاث حاطب عاد بفأس موهنه
من وشوشات نجمة في شرفة مستوطنه توزع الخير على الدنيا ذرانا المحسنه

ـ اكثر ما يصيبك عند نزار ، بساطة « الحكي » الذي يصوغه ، وبساطة الموضوع الذي يتناوله... من الحكي العادي والموضوع الذي تظنه تافهاً ، يغزل نزار قوافيه .

أقرأت « رسالة من سيدة حاقدة » ؟

ـ لا تدخلي . وسددت في وجهي والريح تضغ معطفي
الطريق بمرفقيك . والذل يكسو موقفي
وزعمت لي ان الرفاق اتوا اليك لا تعتذر يا نذل لا تتأسف
أهم الرفاق اتوا اليك ؟ انا لست آسفة عليك
ام ان سيدة لديك ؟ لكن على قلبي الوفي
تحتل بعدي ساعديك ؟ قلبي الذي لم تعرف !..
ماذا لو انك يا دني
وصرخت محتدماً ففي اخبرتني !

ـ هناك (مالارميه) حقيقي في إهاب نزار . إن له معجمه الخاص من الحروف الملحنة ، وكنزه المسحور من الصور... الموسيقى في قصائده تخلق مع الحرف ، في مهد الحرف ، واما الصورة فتلتقطها عينا نبي ... وتنزلق « الميجنا » في الابعاد الخلفية للقوافي وسحبة الموال ، وتبح العطور ويحيا الف شلال من الفل ويذبل ...

ـ وفي انتاج نزار الاخير اتجاه جديد ... اتجاه ألصق بالانسان ، بالارض ، بالعذاب الروحي .. خفتت مشكلة الجسد ، وذهب صراع الكلمة والصورة عنده لتدرج على الاوزان بدلاً منها مشاكل من الاعماق الروحية . عصر « عبد الحميد » مثلاً ، القصائد الاخيرة في (الآداب) ليست لنزار ٩٤٥ ـ ٩٥٠ ولكنها لنزار جديد ... ماذا تراه يكون نزار سنة ٩٦٠ ؟

● وشوقي بغدادي ؟

هذا ما هتف به بعض الرفاق فجأة في نوع من التداعي الواضح فطوى الينبوع المخملي ليبدأ حديث آخر ...

ـ ان فيه بعض الملامح من نزار ..

ـ كانت هذه الملامح ... منذ سنوات ، يوم غزا شوقي سوق الادب بهذه اللغة العفوية الحلوة في لهاته . عرف الناس بسرعة ، انه اصيل الشاعرية يعد بشاعر كبير .. ولكن شوقي اليوم قد اضحى شاعر قضية ، وهبها قلبه وشبكة ضلوعه . تحول عن توطيد لغته العفوية الى الاسلوب التقليدي ، بعض التحول ، ونسي العبث الفني ليغني للشعب ، للانسان في كل قطر ، قلما تسمع منه الآن مثل هذه النجوى :

اختاه هل تبكين ان في مساء صفقت خلفي الباب ثم انصرفت
اتلحقين بي تنادين عد لي ام كل شيء مضى اذ مضيت
امس تخاصمنا فلم تعبئي بي وحينما صوتك دوى سكت

يومض في عينيك ان ثرت حقد ... وفي فم كالورد يشتد صوت
احب في ثغرك نفخ الافاعي ... يشعله حب اصيل ومقت
يا ما تخاصمنا وقلنا انتهينا ... ثم تراجعنا فمادت وعدت !

انما يدمي قلب شوقي الآن « فجر طهران الحزين » فـ :

كل دين باطل ... الا جراح الثائرين

ويشغله مستقبل « الاطفال » في الغد :

هنا في فراغ القلب طاروا وحوموا ... فراشات حقل في عيوني تدوم
ملأن عليّ الدرب فهو ملون ... بهن كما تروي الاساطير ملهم
لتأخذني اذ يركضون مخافة ... ترى في غد من سوف يسلم منهم

ولقد تدركه لحظات يأس ، هي من لوازم العقائد الحية :

اردت ان انسى العيون التي ... تركض في العتمة خلف النهار
اردت ان اؤمن اني انا الاعمى ... فخطوي ابداً في عثار
ولا يد الا يدي وحدها ... تهتز في حنق بعيد القرار
لا .. لم تكن وحيدة قبضتي ... ولازهوري وحدها في احتضار
ما اكثر الايدي التي لوحت ... والاعين التي رأت في الغبار
اذكرها لانها فرحتي ... لانه قام اخ لي ... وسار !

ثم يعود اقوى ايماناً مما كان ! بلى :

ستملأ الشارع الممدود قافلة ... من الجياع الايا طول ما اصطبروا
وسوف تنطلق الاجراس داوية ... فاذ بكل مكان منهم نفر ...

● ويذكرنا شوقي بزميل له : (آدونيس) . ويا بعد ما بينهما من شتيت الرأي في الحياة . ان (سعادة) . هو الذي منحه اللقب الذي حجب اسمه فلو شاء التنكر الآن لوقع باسمه الحقيقي .

ـ يحاول آدونيس ان يخط درباً في الاسلوب الشعري يحكي درب (بدر شاكر السياب) في العراق . لقد تمرد على شطري البيت وعلى القافية المكرورة عشرين وثلاثين ومائة مرة ، خرج من الاطار الى الفضاء الرحب الذي يبنيه بنفسه .. على هذا المنوال يقول :

في أول العام الجديد ... صارت تدور بلا زمان
قالت لنا ... متشتتون
آهاتنا قالت لنا ... مضيعون على الدروب
شدوا الرحال الى بعيد ... صفر السواعد والقلوب
او فاسكنوا خيم الجليد ... والجوع كل ندائنا
فبلادكم ليست هنا ... والريح بعض غطائنا
نحن الذين على الصغار تمردوا ... حتى الصباح يفر من آفاقنا
فتهدموا وتشردوا . ... ويغيض في احداقنا
اكل الفراغ نداءنا ... واذا تململنا الكفاح
ومشى الامام وراءنا ... وتساءلت فينا الجراح
ايامنا جمدت على اشلائنا ... ضحكت حروف ندائنا
وتقلصت كدمائنا ... ضحك الصباح
صارت تعيش على الثواني

ـ وآدونيس يضع ذاته في شعره وما اخصبها من ذات .. ولهذا يضيق معجمه احياناً ، عن ان يلمم في المدى الاوسع افكاره ورؤاه . يجب ان تقرأ (قالت الارض) قصيدته في ذكرى (سعادة) لتدرك اي حماس ، كالنشوة ، يلفه . اما ان شئت ان تعرف شيئاً غير ذلك فأنشد معه كما انشد لملهمته :

عندما اغرق في عينيك عيني ... وارى ما لست أدري
المح الفجر العميقا ... واحس الكون يجري
وارى الامس العتيقا ... بين عينيك وبيني !

● وحمل الينا صديق قصيدة انيقة : لنذير العظمة « عتابا » ـ نذير من هذه المدرسة الشابة ، التي اهملت حتى قيود الوزن ولكنه شاعر !

ـ ان له ما هو اجمل من (عتابا) ، له (حينا) و (مساء القرية) .. كنت اسمعها منه على الدرب فينسيني لغوه الحلو دربي ...

ـ أليس فيه ما في المدرسة الشابة من ضعف التعبير ؟ قد يكون ذلك ! فان صوره واحاسيسه اقوى من حدود كلماته وأوزانه ..

* * *

● وعدنا ذات مساء من حلقة شعرية نتناقش في شعر النساء .. كانت شاعرة تلك الامسية السيدة عزيزة هارون ، ذلك النفس الشعري العذب ..

ـ قد يكون ما سمعت جميلاً ورائعاً احياناً ولكني هل استطيع تمييز شعر المرأة عندنا بشيء ؟

ـ الذي اعرفه ان واحدة فقط حاولت ذلك : الآنسة طلعة الرفاعي . انها واضحة الشاعرية وكانت لها الجرأة مثلاً ان تتغزل بالرجل اسمع منها :

انا ما عرفت الحب قبلك ... هل عرفت الحب قبلي ؟
هبني بظلك هجعة ... لاريك كيف امد ظلي
وأكون طفلتك التي ... ترعى الهوى وتكون طفلي

وضاع الحديث عن الشاعرات وعن الشعر في صخب النقاش : أيجب أم لا يجب ان يتميز شعر النساء ؟

* * *

● وانفجرت المناقشات الحادة ، ذات ليلة ، مرة واحدة عند بيت (لبودلير) وجعل معظم الرفاق يتناقشون في قيمة الرمز وفي قيمة الوحي الشعري بينما رحت افكر وحدي في اصحاب الرمزية في بلادي ..

● كنت اقرأ للدكتور علي الناصر منذ زمن طويل . هو من اعرق الرمزيين . ممن حملوا المعول والفأس لتمهيد الدروب وما كنت اقرأ للدكتور هو شعر عميق .. ولكنه قد « فرفط » الوزن والتفاعيل عند اقدامه ، هذه

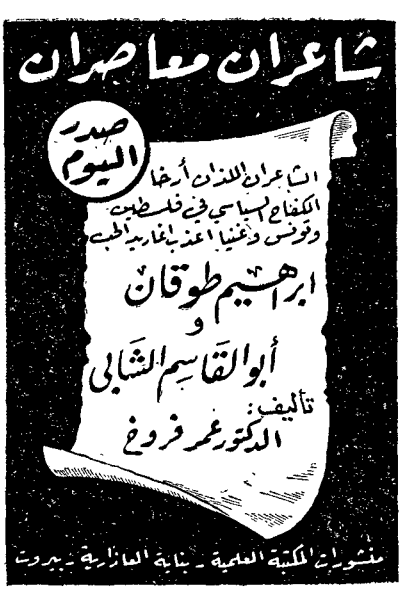

١٢٥

المرحلة، التي لا هي بالشعر الموزون ولا بالنثر ، ما تزال غامضة الحدود عندي ، أن امثال الدكتور الناصر وجبران هم وحدهم الذين يستطيعون ان يبقوا هذا اللون الادبي حياً !

● وكنت ما ازال اتابع افكاري ، في صمت هادىء واجترها ، حين ترك الحلقة واحد منا ليأتي بديوان (سحر) للدكتور بديع حقي ... كان من الطبيعي ان يصل الحديث اليه :

ـ في الديوان قطع رائعة شيقة تحسب نفسك منها في المدى الذي يحبك الغيوم وتجتمع اليه الرؤى . ليس احب على نفسي في ساعات الحنين من ان اروي هذه الآهة :

تراني اعود
على رعشة من جناح شرود
لامسح في ظلك الحلو طيب الوعود
وابكي ويبكي الوساد معي
وازجر في حمرة ادمعي
وانسى الوجود
وسمح العهود
وانسج من خفة الاضلع
سؤالاً يردد في مسمعي
تراني اعود ؟

ـ الدكتور بديع يعتمد على اللفظة الشاعرة ، ككل الرمزيين « ليست مهمة الشاعر (عنده) ان يريق النور على فكرته ولكن ان يحياها .. ان يغوص الى الاعماق ، الى اللاوعي » ويترك للمعنى ان « يتسق في اللفظ كالعطر الذي يكمن في البرعم . »

ـ ألهذا يا ترى أفهمه احياناً بغير ما يريد ؟ انا مثلاً حين اقرأ هذه القطعة :

يا نديمي هلك اللحن وماتت كل آه
هات من روحك ما يبعث في الناي الحياة
من نداء الغاب مر النسم فيه ثم تاه
من حنين الدوح هلت في اعاليه صلاه
يا نديمي هات من شكوى ووسواس المياه
ومن الرعشة في البوح ومن همس الشفاه

نغمة علوية تنقل روحي للاله
طرب القيثار وانهدت تهاويل رؤاه
وهفت جنية في الغاب ولهى في خطاه
تتروى مطلع اللحن وتجفو منتهاه
تنفض النغمة حلما وتسابيح وآه

لا اسميها (بوليرو) ولكن صلاة .. أليس لي ذلك ؟

ـ ويعجبك فيه ذوقه المرهف في « الكلمة » . انها اساس التركيب الشعري عنده . وعليها يقيم الصور . وقد تقصر الكلمة عن المعنى الذي تفيض به نفسه وقد تراه وراء لفظ جديد قاس (امّلس ، تمتلخ ، مستوفز) ولكنك تغفر له قلقه وجرأة محاولته . انه يفتش عن الموسيقى ، عن حرف يصرخ لحرف !

● وكمال فوزي ؟ انه ايضاً من دعامات الرمزيين ... ما تزال ترن في اذني قصيدة سمعتها منه (الخمرة السوداء) !

ـ على ان قصائده لوحات والصور عنده ليست مجرد جملة موحية ، ولكن مجموعة خطوط والوان ورعشات . هذه (مساء ريفي) :

انظري وقت الغياب اي لوحات خضاب
تغمر الافق الوضيا
واصحي النيم الشفيفا وهو ينحل طيوفا
في المدى شيئاً فشيئاً .
والسماوات كفيروز رطيب
والنسيم الطلق اعراف الطبيعه
وجلال الصمت في الريف الحبيب
يوقظ الاحلام في النفس الوديعه
واسمعي لحن الرباب عند غابات الروابي
يرتمي عذب الرنين
وعلى السهل النضير آه موال قرير
وصدى ناي حنون
خلف قطعان مشت ملء الدروب
عائدات من مراعيها البعيده ...
وهفت تشرب الوان الغروب
في مياه النهر همسا وبروده ...

***

... وحطمت كأس على شفتي مخمور في جوارنا واسرعت عيوننا ، في فضول النساء ، تصوغ مأساة ، من قطرات الدم في يديه والدموع الخرساء في خده !

وانتهى الكتاب ..

اصدقائي من الشرب ، كلما عربدت الكأس على شفاههم وسكرت الهموم قالوا : هات حديث الشعر . وتدور القوافي بيننا كسرب الجواري الحسان ، وتدور .. ساعات .

وقد يسلطن بيت في مطلع الليل ، او شطر بيت ، كلمة واحدة ، فاذا هم « يمزمزونها » حتى مطلع الفجر .. هؤلاء هم الشعر في بلادي ، لا القافية المرصوفة ولا ايقاع التفاصيل ... الست معي في ذلك ؟

« دمشق »

شاكر مصطفى

صدر حديثاً

سارتر والوجودية

دراسة ضافية عن المذهب الوجودي
في آثار سارتر الفلسفية والادبية

بقلم ر. م. البيريس

نقلها عن الفرنسية

الدكتور سهيل ادريس

يطلب من دار العلم للملايين